

# الشعر العراقي الحديث في مراحل الثلاث

## بقلم الدكتور هلال الخياط

في التقليد الاعمى تعبيرا عن الكسل العقلي واللامسؤولية ، فقد فقدت الاشياء ظلالها وسارت القيم على رأسها وما زالت تتمش حني يومنا هذا .

ناء الشعر العربي بعد سقوط بغداد وعبر العصور المتعاقبة بالمحسنات البدئية ، ولم يهتم الشعراء بالمضمون ، وأوغلوا في تقليد النماذج القديمة ، ولم يكن الشعر - الا أقله - غاية بنفسه بل كان واسطة للحصول على مال أو جاه أو شهرة أو ازجاء وقت ، وشعراء القرن التاسع عشر الذين يمثلون الرعيل الأخير من شعراء الفترة المظلمة ينضون جميعا تحت لواء التقليد متأثرين بالثقافة العثمانية ، فالموضوعات الشعرية لم تتغير ولم تزد رواء ، وطريقة تناول الشاعر القديم لهذه الموضوعات طبيعية وأكثر أصالة ، ووحدة الموضوع لا وجود لها في أكثر قصائد القرن التاسع عشر لانها افتقدت الاجواء الخاصة ولان تقليد الاقدمين جر الشعراء الى افتتاح القصائد بالفزل والانتقال الى الموضوع المراد بتكلف وثقل ، ولقد اهتم شعراء هذه الفترة بالتزويق اللفظي لان ثقافتهم محدودة وتجاربهم فقيرة وما يبعثهم على نظم الشعر لم يكن له مساس مباشر بمشاعرهم الانسانية الطبيعية والساذجة ايضا بل كان طارنا من خارج كمدح وال كبر لقرض ترفيحي اقتصادي ، ولم يكن شاعر القرن التاسع عشر ليتورع عن ان ينظم الشعر في اي موضوع كان كتنضيل القهوة على الشاي أو وصف تلغراف أو دجاجة أو مخدة ، ولعل الاهمية التاريخية للشعر في القرن التاسع عشر أكثر من اهميته الفنية ، فهو مصدر مهم لدراسة تاريخ ذلك القرن .

وتخلف هذا الشعر يرد الى انه ظاهرة من ظواهر الحياة العامة المتخلفة ، وبالرغم من ذلك فقد فشل في التعبير عن روح العصر ولم ينبع - في اكثره - من معاناة الشاعر لتجربة خاصة ذات جو مميز ، ولم يمثل الناس أو يعبر عنهم ، انما كان يعيش في ظل الولاة والحكام .

لقد بدل شعراء القرن التاسع عشر ما يستطيعون وعرضوا علينا خير طاقاتهم ، وهذا ما توصلوا اليه ، الا ان دراسة الشعر بالنسبة لظروف الفترة خطأ ، فالامور الفنية ليست نسبية ، ولا يمكن ان يقوم هذا كمدح لهم ، فأساليبهم تقليدية وموضوعاتهم مبتذلة ، حتى انهم نظموا آياتنا يمكن ان تقرا من اليمين الى اليسار ومن اليسار الى اليمين . وقد شاعت الاحاجي والالفاظ في أشعارهم ، وكذلك التاريخ الشعري والتخميس .

ولو جردنا شعر القرن التاسع عشر من الاسماء والحواشي والسنين وقرآناه على انه شعر القرن السادس عشر أو السابع عشر لما شككنا فيه ، وعلى هذا فالاصالة مفقودة فيه وليس له ما يميزه ويظهره بطابع خاص .

وشعراء هذه المرحلة كثيرون منهم : عبد الغفار الاخير ( ت ١٨٧٤ ) وله « الطراز الانفس في شعر الاخرس - استانبول ١٨٨٦ » وفيه ١٩٧ قصيدة في المديح لقرض التكسب مجموع آياتها ٨٢٣٣ لا نخرج منها الا بان المدوح كريم وفي شجاع ، ولا عجب فالمدح يشكل اكثرية الشعر في الفترة المظلمة وهو ظاهرة بارزة من ظواهر الشعر في القرن التاسع عشر ، وقد قال الشاعر عن نفسه انه تاجر شعر . ان اسلوب الاخرس موغل في تقليد النماذج السابقة

اختلف الكتاب في تحديد مفهوم كلمة « حديث » بالنسبة الى الشعر العراقي ، فمنهم من اعتبر شعر القرن التاسع عشر حديثا ! ومنهم من ذهب الى ان شعراء مطلع القرن العشرين محدثون ، ومنهم من أكد على ان الشعر الحديث هو الذي نظم بطريقة جديدة مبتكرة في السنوات القليلة الماضية ، ومنهم من يرفض هذا الاصطلاح ويميل الى كلمة جديد او معاصر ويرى ان قصيدة نظمت في زمن سابق أجدر بالحداثة مما ينظم الان ، ويحدد هذا البحث كلمة « حديث » بالمرحلة الثالثة من تطور الشعر العراقي ، وتبدأ بنهاية الحرب العالمية الثانية حتى يومنا هذا ، وهذا التحديد لكلمة « حديث » زمني لا يهتم بالشكل والمضمون ، فاية قصيدة تنظم في الوقت الحاضر وان أوغلت في التقليد وافتقدت الاصالة والابداع فهي قصيدة حديثة الا انها متخلفة . ويبدو ان التحديد الزمني للدراسات الادبية أمر لا نستطيع ان نتجنبه لانه يعيننا على رؤية التيارات الادبية المؤثرة بوضوح ، وقد ذهب الدكتور سهيل ادريس في دراسته للقصة العراقية الحديثة الى تقسيمها مراحل ثلاثا ( راجع مجموعة السنة الاولى من الاداب ) .

واعني بالشعر العراقي - في هذه الدراسة - كل قصيدة نظمتها شاعر عراقي باللغة العربية الفصحى سواء كان داخل العراق أم خارجه ، والبحث في شعر فترة ما لا يعني دراسة الشعراء كلهم ، فهو ليس عملية احصاء للشعراء أو اطراء لمواهبهم وانما يعني بالتيارات التي سادت أشعارهم ووجهتها .

ولقد تجنبت المصادر الادبية المتنوعة في هذا البحث لثلاث ثقله ، فهي كثيرة جدا ( ولي في مجلة الاديب دراسة في مصادر الشعر العراقي الحديث ، الجزء ٦ ، ١٩٦٧ ) ولم أكثر من الابيات الشعرية لسهولة الرجوع اليها في الدواوين .

ولسهولة البحث قسمت الشعر في العراق الى مراحل ثلاث :

١ - ذروة التقليد ، منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ ، ٢ - التجديد الموهوم او فترة الانتقال من ذروة التقليد الى محاولات التجديد بعد الحرب العالمية الثانية ، ٣ - محاولات التجديد بعد الحرب العالمية الثانية .

## المرحلة الاولى ، التقليد :

لا بد لكل جديد من قديم ، ولا بد لكل تجديد من تقليد ، ولا يكتمل التجديد الا اذا بلغ التقليد ذروته ، وكل محاولة في التجديد زائفة مفتعلة بدون هذه الذروة ، فالخطوة الاولى التي ترسي قواعد التجديد وثبتت اركانه تتمثل في اخر مرحلة يلفها التقليد اذ يتكفى فيها على ذاته وينهي مصيره بيده فتظهر الحاجة الى التجديد ، وكل جديد سيصبح يوما قديما ، وحين تنشأ تجارب جديدة يقوم نقاش حولها ، وهذا النقاش - وان كان متناقضا أحيانا أو لا مجديا - مظهر حيوي لكل حركة تجديدية في عالم الفن .

اذن فمحاولات التجديد التي تراها اليوم في عالم الشعر العربي لا بد لها من تقليد انتهى أمره لتكتمل لها عوامل النضج والنماء ، ولقد حظيت الحركة التجديدية بأكثر من ذروة وصل اليها التقليد في الماضي ، فقد شهدت نهايات القرن التاسع عشر امعانا

وقد اكثر من التاريخ الشعري والتخميس والتشظير على عبادة العصر ، وغزله تقليدي ، الا اننا يمكن ان نعتبر شعر الاخرس عامسة مصدراً تاريخياً واضحاً لفترة من القرن التاسع عشر لا نعرف عنها الشيء الكثير ، واذا ما حكمنا على انتاجه بمنظار النقد الحديث وجدناه مجموعة من المقالات والرسائل الخاصة والخطب نظمت شعراً وأخضعت للأوزان والقوافي ، لا عمق فيها ولا شعور ، لان الاخرس كاي فرد عاش في أواخر الفترة المظلمة محدود الثقافة والتجارب والطموح .

ومن شعراء هذه المرحلة : موسى الطالقاني ( ت ١٨٨٠ ) وهو اقل شهرة من الاخرس « ديوانه طبع سنة ١٩٥٧ » وفيه ٣٢٤ قصيدة منها ٢٤ قصيدة فقط في المدح ، واكثره صادق ، وقد كتب الشاعر مرة الى احد الحكام قاتلاً : « لم اتخذ من الشعر صناعة أنفقها في سوق مدائح الملوك » ، ( ديوان الطالقاني ، تحقيق محمد حسن الطالقاني ، ص ٥٣ ) . فنحن اذن امام ظاهرة عجيبة في القرن التاسع عشر ، ولعل قلة مدائحه راجعة الى انه كان غنياً ، واظن ان اقلاله من المديح غير مشهور بين شعراء القرن التاسع عشر ، فالشاعر المداح صنيعه المدح وذو حظوة عنده وذو سطوة بين الناس ، وبالرغم من ذلك فالطالقاني لم يتخلف عن رفاقه اسلوباً ومعنى ، والغزل من أهم الأغراض التي تناولها الشاعر ، فله ١٧٢ قصيدة غزلية ، أي ان اكثر من ٥٠ ٪ من اشعاره غزل ، واذا قرأنا قسمها كبيراً من غزله شككنا انه لشاعر من القرن التاسع عشر ، فهو يبدو شعراً ذا روح عباسية ، الا انه كرر الماني القديمة من ان الحبيبة تحسدها الشمس ويفار منها القمر ، عيونها مراخي ترسل سهامها تفتك بالقلوب ، وان الشاعر لا يثوق طعم النوم ويبقى يرقب النجم ويطول ليله ولا يطلع عليه فجر ولا يزوره طيف الحبيبة الا لماماً ، ويماني من الملول اتواعا شتى من الاضطهاد . ان موسى الطالقاني اكثر اخلاصاً لنفسه من الشعراء الذين عاصروه ، وهو اكثر براعة في تقليد النماذج القديمة ، وهو من القلة بين الشعراء الذين نظموا بالعامية والفصحى ، ويكفينا ان نعتبر شعره النقطة البعيدة للانطلاق نحو محاولات التجديد في الشعر العراقي والبحث عن نماذج عراقية أصيلة ذات روح جديدة .

ومن شعراء هذه المرحلة : حيدر الحلبي ( ت ١٨٨٦ ) ، وأبرز ما عند هذا الشاعر الالم ، فهو من الشعراء الشيعة الذين يظلم الحزن على اشعارهم لانهم تاملوا للنكبات التي حلت بال البيت ، وهم يقيمون مشاعر للحزن كل عام في ذكرى مقتل الحسين ( رض ) . ان مرآتي هذا الشاعر في آل البيت تنطق عن أصالة وصدق عميق ، وقد تتخذ احياناً اسلوباً قصصياً فتصف مأساة الحسين ( رض ) ورهطه حين حاربوا وقتلوا ومنع عنهم الماء . لقد كان الحلبي يمشق الحزن ، وان نزوعه للالم مئزه بطابع خاص ، الا انه لم يكن مجيداً في موضوعات الشعر الأخرى او انه لم يهتم بها اهتماماً كبيراً وهو يفتخر انه لم يكن صادقاً في غزله ( انظر ديوانه ، تحقيق علي الخاقاني ، ص ٦٣ ) .

ومن شعراء هذه المرحلة : عبد الفتي جميل ( ت ١٨٦٣ ) . ويمكن ان نعتبر هذا الشاعر ظاهرة شاذة بالنسبة لشعراء القرن التاسع عشر ، لان اكثر اشعاره كانت سياسية ، والشعر السياسي معروف في الادب العربي قديماً وحديثاً الا انه لم يكن واضحاً في القرن التاسع عشر لخنوع الشعراء ونفاقهم وجبروت الولاة العثمانيين وقضائهم على كل مناوئء لسياستهم . ولعل لثورة هذا الشاعر ونقمة على العثمانيين اسباباً منها سوء الإدارة ومنها انه كان مفتياً فسي بغداد ايام الوالي علي رضا الذي أرقق الناس بالضرائب واضطهدهم في أرزاقهم ، فحاول الشاعر وفريق من الناس أن ينهوا الوالي الى ذلك ويطلبوه براءة الاهلين فكادت تحدث فتنة واضطر الشاعر الى الهرب الى الشام ، فاحرق الوالي بيته وأتائه ومكتبته النفيسة

الحاوية على مخطوطات نادرة كثيرة . وبعد مدة عاد الشاعر السي بغداد ورفض جميع العروض المقرية من الولاة للسير في ركاب الدولة العثمانية وبقي يدافع عن حقوق الاهلين بأشعاره الثائرة طيبة حياته مطالباً العرب ان يعيدوا مجدهم الغابر ، ولم ينظم هذا الشاعر في غير السياسة ومهاجمة العثمانيين والشكوى من الزمن ، وبهذا يكون الشاعر الوحيد في القرن التاسع عشر الذي انفرد بموضوع واحد في شعره تقريبا ، ولما وصلنا من شعر عبد الفتي جميل أهمية سياسية واجتماعية اكثر من أهميته الفنية ، فهو من المصادر الجيدة لدراسة حالة العراق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر سياسياً واجتماعياً .

ومن شعراء هذه المرحلة : محمد سعيد الحويبي ( ت ١٩١٦ ) ، وقد ترك نظم الشعر في أواخر القرن التاسع عشر ، وهو من أغزل شعراء فترته ، وقد أعجب الناس بهذا الشاعر وأحبوا قصائده ورددوا كثير من الفنين لانها تنصف بروح رقيقة وتكثفها أجواء بدوية ، وقد اكثر الشاعر من القصائد الخمرية التي تصف مجالس اللهو والندمان ، وبما ان الشاعر عاش في بيئة دينية وكان عالماً دينياً كبيراً فقد قام الجدل حوله وما زال : اكان سكيراً حقاً ام انه نظم ما نظم في الخمر تقليداً لقصائد الاقدمين وللطرفة فقط ؟ وقد اكثر هذا الشاعر من نظم الموشحات وما نشر منها في ديوانه استغرق ٧٥ صفحة ، هذا ما عدا ما لم ينشر منها وما ضاع ، وهي تجري على طريقة الموشحات الاندلسية وتقبس أجواءها والقوافي فيها متنوعة واكثرها غزلية او خمرية وتتناول الطبيعة وأجواءها الساحرة بالوصف ، واظن ان موشحات الحويبي بالنسبة لشعر القرن التاسع عشر وبالنسبة للموشحات الاندلسية نفسها جيدة فيها رقة الطبع وعفوية البادية وأخيلة الصحراء . وقد نظم الحويبي في أغراض الشعر الأخرى الا انه لم يبرز فيها وله ايضا اشعار في التصوف .

ان هؤلاء الشعراء الخمسة الذين اختسرتهم من بين عشرات الشعراء في القرن التاسع عشر يمثلون اتجاهات متباينة : فمن المبالغة في المديح عند الاخرس الى ابتعاد الطالقاني عنه ، ومن الإعجاب بالالم عند الحلبي الى الكفاح السياسي المر عند عبد الفتي جميل ، أما الحويبي فيمثل الطبيعة المرحبة بموشحاته وأبياته الفنائية ، واكثر الشعراء ينضون في هذه الاطر ويدورون فيها وحولها ، وليس هناك من شد عنها الا في النادر فلا مبرر لدراسة الشعراء الاخرين ، فهم لن يضيفوا الى هذه الاتجاهات شيئاً ، ومن هؤلاء الشعراء : عبد الباقي العمري ، والطباطبائي ، وابن كمونة ، والازري ، والعبيدي ، والخصري ، وجعفر الحلبي ، وأحمد عزة الفاروقي وغيرهم .

### المرحلة الثانية ، الانتقال :

ولا بد للتجديد من مرحلة ثانية بعد مرحلته الاولى ، فلا يمكن للتجديد الصادق والمحاولة الجدية فيه أن تتبع من المرحلة الاولى ، فان هناك أموراً مهمة وجهوداً مضيئة توطئ الطريق للتجديد وتفسح له المجال الأرحب ، وتبعا لسنن الحياة وتطورها وجد مسن يحمل العبء ويمثل المرحلة الثانية في سبيل شعر عربي رائسع مبدع ، والا فما الدور الذي لعبه الزهاوي والرصافي في العراق والبارودي وشوقي في مصر ورهط هؤلاء وأولئك ؟ لقد توسط هؤلاء الشعراء ما بين التقليد والتجديد ، لم يقلدوا التقليد الا على اسم يرفضوا الرفض البات ، نقلوا الموضوعات الشخصية الضيقة في القرن التاسع عشر الى عالم الناس والمجتمع ، وجرت الاراء الجديدة على السننهم ومست اشعارهم مسا وتاروا على قيم بعينها اجتماعية وسياسية وفنية ، ولم تعرف ثورتهم ابعاداً او اطاراً ينتظمها ، الا انهم بالرغم من ذلك اضاءوا الطريق للاجيال القادمة .

بدأ وجه الحياة في العراق يتغير في مطلع القرن العشرين

نعم ان الزهاوي لم يسمح مطلقا لزوجته ان تسفر وان تحصل من قصائده في تحرير المرأة نموذجا حيا سائرا بين الناس ...  
وقد بحث الزهاوي شعرا ونثرا كثيرا من الامور العلمية وابتدع آراء خاصة به منها ان الحجر يسقط على الارض لا لجاذبية الارض انما لدفع من السماء ، وهو يؤمن بنظرية داروين ويتماطى الفلسفة ، ولقد تأثر شعره بالدراسات العلمية والطبيعية والفلكية فاتسم بمعالجة موضوعات بعيدة عن الشعر مثل الجاذبية والروح والجسم والنار والحديد مما هو اقرب الى طبيعة النثر واجسد بالمقالات والبحوث

ان الزهاوي يمثل اتجاها ضم شعراء اولعوا باخضاع بعض الموضوعات النثرية الى الاوزان والقوافي ، ويظهر لنا من شعره انه جاهد جهادا مرا ليظهر بمظهر الفيلسوف ، وقد ردد كثيرا من التعبيرات الفلسفية المعروفة كما انه اقتبس من معاني القرآن الكريم . وقد دعا الزهاوي الى التجديد والثورة على القديم ، وقد ذكر في كثير من اشعاره انه مجدد :

سئمت كسئل قديم عرفته في حياتي  
ان كان عنديك شيء من الجديد فهيات  
ويقول :

انا للشعر في المراق اديب مجدد  
انا في جنب دجلة عنديب يفرد

الا ان الشاعر - رغم انه لم يفلح في ان يكون مجددا - تخلص من الاهتمام الشديد بالالفاظ ولم يلجأ الى ترفيع شعره بالمحسنات البديعية ، وتجربته الوحيدة المخالفة للمألوف هي نظمه قصيدة بدون قافية نهائية ( انظر ديوانه ، القاهرة ١٠٢٤ ، ص ٣١ ) .

ان الزهاوي ليس مجددا ، فهو لم يتدع اساليب جديدة تختنق شكلا ومضمونا ، فهل هو شاعر ام عالم ام فيلسوف ؟ في البحث الذي كتبه عنه كراتشكوفسكي في الموسوعة الاسلامية ورد ان الزهاوي ليس شاعرا وحسب انما هو عالم وفيلسوف ، وانه اعظم شاعر عربي في العراق الحديث ، واذا درسنا آثاره كلها لا نخرج بفلسفة خاصة به ولا بشيء يمكن ان يسمى فلسفة ، فهو قد جاء بآراء مختلفة جمعت واقتبست من مظان قديمة وحديثة مختلفة ، فهو لم يكن فيلسوفا ، فهل كان الزهاوي عالما ؟ ان التطرق لبعض النظريات العلمية ونظمها شعرا لا يمكن ان يوحي لنا بان الزهاوي عالم ، فهو لم يدرس العلم ولم يجز التجارب ، ورايه في الجاذبية لا يتفق مع ما اثبتته نيوتن من قبل ، فاذا لم يكن الزهاوي اعظم شاعر او عالما او فيلسوفا فما الذي سيبقى لنا منه ؟ انه بلا شك مصلح اجتماعي كبير تناول قضايا اجتماعية كثيرة في شعره وتبناها ودافع عنها وكان البلد في حاجة الى امثال الزهاوي في هذه الميادين لانه كان في بدء نهضته الحديثة ، وهو ايضا مؤرخ ، فشعره ضم كثيرا من المعلومات عن العراق في حقبة طويلة من تاريخه الحديث ، لذا يمكننا ان نعتبر شعره مصدرا مهما في تاريخ العراق الحديث ، وهو الى هذا وذاك يمثل مرحلة لا بد منها لتطور الشعر نحو الجودة والابداع ، اذ لا يمكن ان ينتقل الشعر من التقليد الى الابداع والابتكار وان يتجاوز المحلية الى عالمية ارحب بصورة مفاجئة .

لقد بلل الزهاوي كل جهده واتصب نفسه في سبيل المجتمع والشعر ، ولئن فاته شيء فقد وطأ لغيره ان يجد له آفاقا جديدة ذات عمق وروعة ، لذا فقد كان له دور كبير في عالم النهضة في العراق .

ومن كبار شعراء المرحلة الثانية معروف الرصافي ( ت ١٠٤٥ ) ، كان ذا شهرة واسعة في البلاد العربية وقد اقترن اسمه بالزهاوي ، فقد عاشا فترة واحدة وتناول شعرهما موضوعات متشابهة وحاول كل منهما التجديد ، وكالمعادة قام جدال عريض في أيهما أحسن من صاحبه . عانى الرصافي في أخريات حياته الغافة والحرمات

وخاصة بعد الحرب العالمية الاولى ، وتغير الشعر تبعا لتغير الحياة العامة واخذ يعتمد شيئا فشيئا عن التقليد ، وظهر فريق من الشعراء لا يمكن ان يدرسوا على انهم مقلدون فقط ، ويمكن ان نطلق عليهم انهم شعراء الانتقال من المرحلة الاولى : ذروة التقليد في القرن التاسع عشر ، الى المرحلة الثالثة : محاولات التجديد بعد الحرب العالمية الثانية ، وامتاز بعض هؤلاء الشعراء بنثرية قسم كبير من شعرهم ، فقد اضطروا الى الفاء القصائد في مناسبات كثيرة كتوديع شخص او استقبال اخر او افتتاح مدرسة .. الخ ، وشعر المناسبات ذو طابع نثري في اكثر الاحيان وهو عبارة عن خطب موزونة مقفاة ، واهتم هؤلاء الشعراء كل الاهتمام بقضايا مجتمهم والمشكلات التي جابهها لان البلد كان يماني انذاك من تركة الفترة الظلمة وكابوس الدولة العثمانية ويتطلع الى المخترعات الحديثة والآراء الوافدة ، ولا شك ان قسما من القصائد الاجتماعية اقرب الى روح النثر منها الى روح الشعر ، لذا فقد كانت مهمة الشعر عندهم ليست فنية فقط انما هي اصلاحية هادفة لاحتياج الوطن الى مصلحين وهو في بدء نهضته الحديثة ، وبما ان هؤلاء الشعراء كانوا يعنون بأمور الناس فقد اهتموا بتجاربهم الخاصة ولم يكشفوا عنها الا قليلا ، وكانت اكثرية شعرهم حديثا الى الناس ، فقد أحب الناس الشعر كثيرا انذاك ومالوا اليه اكثر من النثر ، فلم يحتكر النثر موضوعاته فشرّب قسم منها الى الشعر .

وامتاز هؤلاء الشعراء بانهم طالبوا بالتجديد ، وكانت لهم آراء جديدة ولكنهم لم يفلحوا في تطبيقها ، واعجبوا بالنظريات العلمية المختلفة فنظموها شعرا ودهشوا بالمخترعات الحديثة فوصفوها شعرا وتصوروا ان ذلك تجديد منهم ، الا انهم بالرغم من هذا وذاك اداروا دفعة الشعر من موضوعاته التقليدية الضيقة في القرن التاسع عشر - التي كانت تدور غالبا حول أشخاص - الى عالم الناس والسوى المجتمع بأكمله والى المشكلات التي كانت تجابه البلد انذاك ، وبعملهم هذا وطأوا لنهضة اجتماعية في عالم الشعر ، ثم انهم وجهوا طعنة صميمية الى التزويق اللفظي وجعلوا للمعنى المنزلة الاولى ، وتحويلهم موضوعات القرن التاسع عشر الى عالم ارحب وبمسند اهتمامهم بالمحسنات البديعية اسدوا خدمة جلية الى الشعر العربي لا يمكن اغفالها ، لقد افلحوا في ان يقدموا لنا كل طاقاتهم ، لقد نجحوا هنا وفشلوا هناك ولم يكن في امكانهم ان يلقبوا الشعر راسا على عقب ، وما طولبوا بذلك ، انما مثلوا فترة الانتقال من القديم الى الجديد خير تمثيل وكانوا ذوي جراءة بحيث قلقوا كثيرا من الافكار السائدة انذاك سواء في عالم الفن او عالم الإصلاح ، فاخذنا حقا نتطلع الى اجواء اكثر اشراقا في عالم الشعر في العراق .

ومن شعراء هذه المرحلة : جميل صدقي الزهاوي ( ت ١٩٢٦ ) . تقول الموسوعة الاسلامية : انه يعود باصله الى خالد بن الوليد ، كان ابيه كرديا وكانت قرية « زهاو » موطن جدته ، واتفق العربية والفارسية والتركية والكردية ، فتحن اذن امام شاعر يمثل حضارات شرقية متشابكة ، فاصله عربي وابوه كردي وجدته فارسية ، عاصر الحكم العثماني ودور الاحتلال والحكم الملكي ، فهل لهذا المزيج الذي كون شخصيته مميزات خاصة ينفرد بها عن بقية الشعراء ؟

زاول الزهاوي وظائف مختلفة متباينة ، و ألف كتب كثيرة في موضوعات شتى ، وعني عناية شديدة بتحرير المرأة ودافع عن حقوقها ودعا الى السفور ، وقد عزل من وظيفته ولم يخرج من داره اسبوعا خوفا من بطش الرجال ، وقد اخذت آراؤه في تحرير المرأة تجد اذا صاغية عند فريق من الناس فرددوا شعره ودعوا الى مناصرة النساء ، . وكان الدعوة الزهاوي وغيره لتحرير المرأة ان حصلت - خاصة في المدن الكبيرة - سنة بعد سنة على قسم من حقوقها ، واليوم تفخر المرأة العراقية في مشاركة الرجل في بناء البلاد خاصة في ميدان التعليم والتطبيب ، الا انه من الطريف ان

والإهمال وقيل انه اضطر أحيانا لبيع السكاير ، وقد عرضت عليه السلطات أن تشتري ديوانه على أن ينظم قصيدة تمدح المائلة المالكة ب ١,٤٠٠ دينار فرفض .

كان الرصافي جريئا ، هاجم الحكام بضاوة ، ثم بقي طيلة حياته ضد السلطات الجائرة هاجيا ومحاربا ، والظاهرة البارزة في ديوانه هي ولوعه بالسياسة وحبه الشديد لوصف مظاهر البؤس والشقاء ، ولم تكن للرصافي عقيدة معينة بل كان يحلم بمسالمة مثالي ، فحث الناس على الخير ، واتخذ أفعال الأمر سيلا السى ذلك ، فبعض قصائده يبدأ ب تنبهوا وتقدموا وانفضوا ، وكان الرصافي سخيا بمواهبه فلم يتوان عن أن ينظم قصيدة في أية مناسبة وأن يلقي شعرا في أي احتفال ، لذا كان قسم من شعره ذا مسحة خطابية ، ولا يقدم شعره السياسي حولا ، وكان يستمد بعض موضوعاته من واقع الحياة بروح صحفية ، والاكثار من القصائد السياسية . ووصف مشاهد البؤس في شعر الرصافي يفسره لنا ما جاء في وصيته : « كل ما كتبه من نظم أو نثر لم أجمل هدفي منه منفعتي الشخصية وإنما قصدت به منفعة المجتمع » . فقد هب الرصافي نفسه ليكون معلما او مصلحا اجتماعيا واتخذ من الشعر أداة لذلك الإصلاح ونشره بين الناس ، فالشعر من وجهة النظر الاجتماعية - لا من وجهة النظر الفنية - أداة للإصلاح لان الناس يحبون الشعر ويحفظونه ، فهو سهل التداول ويشير الحماس ويوقد المواطف ، ولأن الشاعر توخى الإصلاح فقد شاب قسما من شعره روح نثرية ، وأسهب بعض من درسوا الرصافي في نثرية بعض قصائده ، ففي المقدمة التي كتبها عبد القادر المغربي لديوان الرصافي نجد : « ولو عمدت الى كثير من قصائده وحاولت تحويلها الى مقال من النثر لامكنتك ، ولا تدري حين تسمع قصيدة له أي نظم منشور أم نثر موزون » . ولقد قال الرصافي نفسه عن شعره :

وأرسلته نظما يروق انسجامه

فيحسبه المهفي لانشاده نشرنا

حاول الرصافي أن يبعث الشعر من جديد ، وعاضده في سبيل ذلك زميله الزهاوي الذي جدد في افكاره الادبية ، ولم يحسن التطبيق . ولم يهتم الرصافي بالاسلوب كثيرا وتجنب التزيق اللفظي المتكلف ، ولم يعن الشعر في القرن التاسع عشر بالامور العامة ، اذ كانت موضوعاته فردية ، ففمره الرصافي والزهاوي وزملاؤهم بما يمساكل الناس في النصف الاول من القرن العشرين وادخلوه في صلب أدوار المجتمع .

أما شعراء العراق المعاصرون للزهاوي والرصافي فهم ليسوا اقل أو أرفع شأنًا الا أنهم بصورة عامة - الا القلة - يمثلون تيار الإصلاح والحماسة ، ومن هؤلاء الشعراء : علي الشريقي والكاظمي ورضا الشيبيني ومحمد مهدي البصير واليعقوبي والبناء وغيرهم .

### المرحلة الثالثة ، محاولات التجديد :

بدأت المرحلة الثالثة - محاولات التجديد ، بعد الحرب العالمية الثانية ، وكانت امتدادا للمرحلة الاولى - ذروة التقليد ، والمرحلة الثانية - الانتقال ، الا ان هذه المرحلة الثالثة تعاورتها أمور كثيرة خارجة عن طبيعة العمل الفني ، فما ان بدأت وظهرت حتى شغفل الادباء بأمور تافهة وأخفوا يبحثون عن هذا اللون الجديد من الشعر ، فماشوا على هامش الحركة وليس في صميمها ، وتسربت الى محاولات التجديد آراء من الغرب قيل فيها انها تقليد من خارج وقيل فيها انها استفادة من تجارب الانسانية .

هزت الحرب العالمية الثانية هذا الكوكب الارضي وابدلت معالم كثيرة فيه وتهاوت معها آخر قلاع الرومانسية القديمة والحديثة ، وتلفت الناس بمدنها ، وفي بلادنا ، يتظلمون الى عوالم جديدة فلم تعد تطرب معازف جبران .

ووجد الشعراء بعد ايمان وإعادة نظر أن امورا لا علاقة لها بالفن فرضت على الشعر في كثير من الاحيان ، وما عدا النماذج الخالدة فان قسما كبيرا من الشعر كان عملا خارجيا لا ينبع من صميم حياة الشاعر وتجاربه ، وبتغير وجه الحياة وازدياد الثقافة والاتصال بالحضارات الاخرى والاقتراب منها ونشاط حركة الترجمة برزت في العراق آراء تدعو الى تجديد الشعر ، فقد سئم بعض الشعراء من النماذج التقليدية المتكررة في الفترة المظلمة ، ولم يعد الشعر وسيلة للتكسب فاخذ يعتمد عن المديح والخطابة والالفاظ الرنانة والتكثف البلاغية .

وبدا الشعراء يبحثون عن قوالب جديدة وأرادوا ان ينوعوا القوافي ، فالاقدمون - خاصة في الاندلس - قد فعلوا ما يشبه ذلك ، ولم يلتزم هؤلاء الشعراء بعدد معين من التفعيلات في البيت الواحد ، ولكنهم ما زالوا ينظمون على الاوزان التي استعملها الشاعر الجاهلي ولكن بالاسلوب جديد ، وما زالوا يستعملون قوافيه ولكن بترتيب اخر ، فتنوع القوافي وعدد التفعيلات لا يعني تجديدا انما هو تحويل في الشكل ، وما لم يتجاوز الشعر العربي محليته فسيبقى في طور المحاولات ، وبدأ الشعراء العراقيون محاولتهم وكان في مقدمتهم بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وعبد الوهاب البياتي وكاظم جواد وشاذل طاقة ومحمود المحروق الذي نظم قصيدة حرة في سنة ١٩٤٨ ، وغيرهم . وقد تأثر قسم من الشعراء بالادب الغربي ، الا ان هذا لا يعني أنهم ترجموا عنه او قلده حرفيا ، ولم يتطسور الشعر الحديث تدريجيا وببطء من الشعر العربي القديم انما كان ظاهرة فرضتها الحياة نتيجة للتوتر الذي خلفته فيها آثار الحرب العالمية الثانية ، ولقد استفاد الشعراء الجدد من تجارب الاقدمين فحاولوا ان يطوروها على ضوء الاخيلة الجديدة التي بدأت تتراءى لهم. ان آراء متضاربة حول الشعر الجديد ما زلنا نقرأها يوما بعد

## شعر

### من منشورات دار الاداب

ق . ل		
٣٥٠	للشاعر القروي	الإعاصير
٣٠٠	لفدوى طوقان	وجدتها
٣٠٠	» »	وحدتي مع الايام
٢٥٠	» »	اعطنا حبا
٣٠٠	لعبد الباسط الصوفي	ايات ريفية
٢٠٠	لفواز عيد	في شمسي دوار
٢٠٠	لهلال ناجي	الفجر آت يا عراق
٢٠٠	لعنان الراوي	المشائق والسلام
٢٠٠	لخالد الشواف	حداً وغناء
٢٠٠	لأحمد الفيتوري	عاشق من افريقيا
٢٥٠	لصلاح عبد الصبور	احلام الفارس القديم
٢٥٠	لصلاح عبد الصبور	اقول لكم
٢٠٠	لمعين بسيسو	فلسطين في القلب
٢٠٠	لحسن النجمي	كلمات فلسطينية
		بيادر الجوع
٣٠٠	للككتور خليل حاوي	سفر الفقر والثورة
٢٥٠	لعبد الوهاب البياتي	الناس في بلادي ( ط . جديدة )
٢٥٠	لصلاح عبد الصبور	

# لقاء صبح النكسة

« الى اخي العربي الصامد .. عبد العال البافوري »

— يؤسفني أراك هذا اليوم  
وانفجرت دموعنا خناجرا

\*\*\*

كان صباحا اصفرا  
جذوره السوداء في نيويورك .. في سيناء  
جذوره الخضراء في مبنى الرياسة  
وكانت الجموع لم تزل تسد الدرب حزنا وحماسه

\*\*\*

— يؤسفني اراك هذا اليوم آتيا مباعدا  
يؤسفني ان تطرق الجباه  
لو للحظة هنا اسى وكمدا  
يسير كل واحد في دربه الذي غدا  
اغرب من طريق الموت والحياة .

\*\*\*

يا أيها اليوم الذي انتهى  
يا أيها اليوم الذي ابتدا  
— لا ... لن نمر أبدا

\*\*\*

— غدا ... غدا  
سوف يطيب لي اراك  
غدا ... غدا

\*\*\*

وسار عبد العال صامتا وصامدا

نصار محمد عبد الله

القاهرة

يوم تدل على حيوية هذه التجربة وقدرتها على اثارة النقاد بحيث  
يتصنون لها مؤيدين او محاربين .

ولعل من الخطا ان نعتقد ان الدعوة لهذا الشعر تضم فسي  
انجائها نبذا للشعر القديم وتحطيمها له ، ففي الشعر القديم نماذج  
رائعة ستبقى خالدة ، اما الشعر الجديد فهو رد فعل قوي للتقليد  
الذي نابر عليه الشعراء طيلة الفترة المظلمة دون ان يأتوا بجديد  
ودون ان يفصحوا هم وشركاؤهم بحركة جديدة تثبت جدارتها للحياة .

وليس من حقنا ان نطالب الشعراء بان يسيروا على شكل معين  
ثابت لا يغيرون عنه وان كان هذا الشكل جديدا ، لان ذلك ينتشل  
الشاعر من تقييد قديم ليلقيه في تقييد جديد ، وكل جديد لا بد  
ان يصبح يوما ما قديما ، ان نحصل على شعر حقيقي مبدع - وليكن  
باي شكل - خير من ان ندور في مناقشات تافهة لنوجه شعراءنا الى  
الطرق التي نراها صائبة ناسين ان الموهبة لا تعرف قاعدة او تخطيطة .  
وبعد جيل الرواد من هؤلاء الشعراء ظهر شعراء اخرون فسي  
مقدمتهم سعدي يوسف ، ومنهم بلند الحيدري ومدني صالح ورزوق  
فرج رزوق وصالح جواد الطعمة ومحمد جميل شلش ومحمد النقدي  
وحسب الشيخ جعفر وعصام عبد علي ومحمد سعيد الصكار وحميد  
سعيد ورشدي العامل وغيرهم .

ولا يمكن لناقد واع ان يصدر حكما قاطعا على انتاج هؤلاء  
الشعراء ، فهو ما زال في طور التجربة والمحاولة والنماء ، ويصر  
قسم منهم بداب على رعاية هذه المحاولات واكتشاف عوالم جديدة ،  
والزمن هو الذي سيبيء الشعر الجديد المكان الذي يستاهله ،  
والباب مفتوح لمن يريد ان يجرب ويضيف ويعدل ، والزبد لا يمكن  
ان يذهب الا جفاء .

ان امالة هذه المرحلة الثالثة تتمثل بالاخذ بتجارب الماضي  
والتفاعل مع معطيات الحاضر والاخلاص للمستقبل برؤية نافذة واضحة،  
والصدق الادبي امر لا بد منه في كل نتاج جديد والا فسيصبح ثوب  
التجديد مهلهلا . ان التجديد رد فعل قوي لوجة التقليد العارمة ،  
وهذا لا يبيح للشعراء الجند ان يفلتوا في انهم يقلدون - في بعض  
انتاجهم - الجديدين فيعيدون سيرة القرن التاسع عشر بأسلوب  
مستحدث ، فالنفس السبابي واضح في قصائد كثيرة مما يكتب الشعراء  
هذا اليوم ، وعلى الشعراء الذين يمارسون التجديد ان يقفوا  
صامدين امام العاصفة - بعيدين عن مواطن الاغراء - وان يحثوا  
عن ذواتهم وان يجتهدوا فيعبروا عنها تعبيراً صادقا ، والشهيرة  
السريعة آفة ادبنا قديما وحديثا .

ان تقسيم الشعر العراقي الى مراحل زمنية ثلاث لا يضبط جميع  
الظواهر الشعرية في العراق ، فهناك امور تتأبى هذا التقسيم ،  
وشعراء لا يمكن دراستهم الا على افراد وبفصول خاصة فهم ليسوا  
بمقلدين ولا بمجديدين ولم يحاولوا الاصلاح الاجتماعي ، الخ .. ومن  
هؤلاء الشعراء : محمد مهدي الجواهري الذي ولد خطأ في القرن  
العشرين ، واحمد الصافي النجفي الشاعر ذو العالم الفريب المستقل  
والموضوعات التي لم يطرقت سابق ولا لاحق ، وحسين مردان الذي  
أخضع الشعر للجنس ونزل فيسفا على سجن بغداد من جراء ذلك ،  
وهناك شعراء اخرون انفردوا بتجارب خاصة لم يشركهم فيها غيرهم  
ومنهم اكرم الوتري الذي اطل اطلالة مشرقة قصيرة على عالم الشعر  
في العراق ، وخالد الشواف بمسرحياته الشعرية التاريخية ، وقحطان  
الدفعي ذو التجربة الشعرية الجريئة والفريبة التي لم يتح لها بعد  
دراسة تكشف عن معالها وابعادها .

ان جهود الشعراء والكتاب في كل بلد عربي تسمى وبوعي الى  
ان ينطلق الشعر العربي من محليته ليتبوا مكانه اللائق في الشعر  
العالمي ، وكل دراسة شعرية لا تهدف الى ذلك فاشلة وعقيمة .

جلال الخياط

بغداد